الفصل الخامس

التعليم فى الحلقات والمجتمعات الأدبية :

امتاز نظام التعليم الاسلامى بالسهولة والمرونة فلم يتقيد بمكان معين فى نشر الثقافة والتعليم فكانت تعقد الحلقات العلمية فى بيوت العلماء وقصور الخلفاء يحضرها الطلاب والراغبون فى العلم للاصغاء وكتابة ما يستمعون من الأساتذة والعلماء ويحضرها الأطباء والفلاسفة والأدباء للانتفاع بما يستمعون من المناظرات والمناقشات الدينية والعلمية والطبية والأدبية ٠

وكثيرا ما كانت الأديبات من المسلمات يعقدن المجالس الادبية لدراسة الادب والشعر ونقد الشعراء والموازنة بينهم ومن هؤلاء السيدة سكينة والولادة بنت الخليفة المستكفى ٠

وكان الرئيس ابن سينا يدرس لطلبته كتاب الشفاء وكتاب القانون فى بيته ليلا ، لانه كان مشغولا بعلاج المرضى نهارا ٠

وكان أبو سليمان السجستانى مريضا بالتبرص فلزم بيته وانقطع عن الناس فكان طلاب العلم يذهبون اليه للاستفادة منه وكان بيته مجتمعا لأهل العلم وقصده الرؤساء والأجلاء وسادة العلماء للاستذكار والمناظرة فى موضوعات مختلفة والمناقشة فى آراء الفلاسفة القدماء وشرحها والتعليق عليها وكانت له الكلمة الأخيرة والقول الفصل ٠

وقد اعتاد الطلبة والمدرسون الذهاب الى دار الامام الغزالى ليستفيدوا من علمه وخلقه ودراسة بعض الكتب معه ٠ فقبل انتشار المدارس كانت بيوت العلماء وقصور العظماء تعد أمكنة للحلقات والمجتمعات العلمية والأدبية يؤمها الطلاب الراغبون فى البحث والعلم ودراسة بعض الكتب٠

وفى قصر سيف الدولة الحمدانى كان المتنبى يغرد بشعره فقدانتقل تيار الأدب العربى الى شمالى سورية وجعل مدينة حلب مقرا له وهى عاصمة الدولة الحمدانية ٠ واستطاع سيف الدولة أن يجمع حوله فى مملكته الصغيرة متعددة النواحى فى العبقرية وكان كرمه الفائق سببا فى أن يتصل به أدباء العصر وعلماؤه ٠

وكان الخليفة حاميا للعلم والدين وقصره مركزا ثقافيا للأدب والأدباء يلتقى فيه العلماء والشعراء ٠ وكانت المنتديات الأدبية للخلفاء تؤثث تأثيثا جميلا ولا يدخلها الا طبقة خاصة من الأدباء والعلماء ولها

تقاليد خاصة يجب أن تراعى فالداخل فى حضرة الخليفة يجب أن يكون نظيف الملبس وقور الهيئة يجلس فى المكان المناسب له لا يضحك ولا يبصق ولا يمخط ولا يجيب عن شيء الا اذا سئل عنه ولا يرفع صوته وعليه أن يتعلم حسن الاستماع كما يتعلم حسن الكلام ويمهل المتكلم حتى يتم حديثه ويتجنب الألفاظ الوحشية ولا يكثر القهقهة ·

وفى تلك المنتديات كانت الموضوعات تعرض لبحثها ونقاشها والمناظرة فيها ·

وقد بنى المعتضد بالله قصره ببغداد وفيه دور ومساكن ومقصورات ليرتب فى كل موضع رؤساء لكل مذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويجرى عليهم الأرزاق السنية ليقصد كل من اختار علما من العلوم أو صناعة من الصناعات الرئيس الذى يختاره ليأخذ عنه العلم أو الصناعة ·

وكان معاوية بن أبي سفيان يستدعى الى مجلسه فى قصره بعض العلماء والأدباء والمؤرخين ليقرءوا له تاريخ العرب ويحدثوه عن مواقعهم الشهيرة وعن تاريخ ملوك الفرس ونظم حكوماتهم وادارتهم ·

وقد جلس عبد الملك بن مروان يوما وعنده جماعة من خاصته فقال: ايكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه مرتبة وله على ما يتمناه ؟

فقام اليه سويد بن غفلة فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين ·

فقال عبد الملك : هات ·

فقال سويد : أنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ···

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : يا أمير المؤمنين أنا أقولها فى جسد الانسان مرتين ···

فقال سويد : أنا أقولها ثلاثا وأنشأ : أنف ، أسنان ، أذن ···· الخ · فأعطاه عبد الملك جائزة وأنعم عليه وبالغ فى الاحسان اليه ·

وقد حضر أعرابى مجلس عبد الملك بن مروان أيضا وكان جرير حاضرا فسأل عبد الملك الأعرابى : هل لك علم بالشعر ؟

قال العربى : سلنى عما بدا لك يا أمير المؤمنين ·

قال عبد الملك : أى بيت قالته العرب أمدح ؟

قال العربى : قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح ٠

فرفع جرير رأسه وتطاول :

ثم قال عبد الملك : فأى بيت قالته العرب أفخر ؟

قال العربى : قول جرير :

اذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا ٠

فتحرك جرير ثم قال عبد الملك ... فأى بيت أهجى ؟

قال العربى : قول جرير :

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا ٠

فاستشرف جرير لذلك ٠

ثم قال عبد الملك : فأى بيت أغزل ؟

قال العربى : قول جرير :

ان العيون التى فى طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا ٠

فاهتز جرير وطرب ثم قال عبد الملك : فأى بيت أحسن تشبيها ؟

قال العربى : قول جرير :

سرى نحوهم ليل كأن نجومه ... قناديل فيهن الذبال المشتعل ٠

فقال جرير : جائزتى للعربى يا أمير المؤمنين ٠

فقال له عبد الملك ٠٠ وله مثلهـــا من بيت المـال ولك جائزتك ياجرير ، لا ننتقص منهـــا شيئا ٠ وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة ٠ فخرج العربى وفى يده اليمنى ثمـانية آلاف درهم وفى اليسرى رزمة ثياب ٠

هذا مثل من الأمثلة لمجـالس الأدب فى العصر الأموى فلمـا قامت الدولة العباسية ظهرت المنتديات الأدبية بمعناها التام في العالم الاسلامى وصارت تعقـد فى أوقات محددة وشملت تلك المنتديات قصور الخلفـاء وقصور الأمراء والعظماء ثم تنوعت المنتديات فكان منها منتديات للآداب

ومنتديات للعلوم ومنتديات للفنون · ولكن مجالس العلم والأدب استمرت أرفع المجالس قدرا وأعظمها منزلة ·

وفى مجلس هرون الرشيد كانت تعقد مناظرات بين الشعراء ومناقشات بين الفقهاء ، ومساجلات بين أهل الفنون والأدباء ·

وكان عصر المأمون أزهى العصور فى تاريخ النهضة العلمية والأدبية والدينية فى الامبراطورية الاسلامية فقد كان المأمون نفسه عالما من كبار العلماء أديبا من أساطين الأدباء واختار أصحابه ورجال دولته من الأفذاذ فى الشرق والغرب وكان بجانبه كبار الأساتذة والمفكرين والمستشارين والمترجمين · ويقول سيد أمير على القاضى الهندى : ان معية المأمون كان بها عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء والاطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المأمون من جهات كثيرة من العالم المتمدين وشملهم جميعا بعنايته مع اختلاف ميولهم وجنسياتهم ·

وكثيرا ما أخذ المأمون نفسه الدور الرئيسى فى المناظرات التى فى مجلسه ·

ففى عصر المأمون ارتقت العلوم الدينية واللسانية واستفادت هذه المجالس كل الاستفادة من الترجمة والتقدم العلمى ·

وكان السلطان محمود الغزنوى يحب العلم والعلماء ويكرمهم ويجالسهم ويحسن اليهم وتعقد المناظرات الطويلة بين يديه ·

فقصور الخلفاء والأمراء والقادة كانت تقوم مقام الجامعات فى عصرنا هذا · وكان الحكام يتنافسون فى حماية الأدباء والعلماء والطلبة يعملون على النهوض بالأدب والعلم والدين والحكمة ·

وفى تلك الحلقات والمجتمعات كانت تقام البحوث والمناظرات · وكان الباحثون والمتناظرون يعتمدون على المنطق وسلامة التفكير وقوة الجدل والمناقشة فقد روى أنه اجتمع متكلمان فقال احدهما : هل لك فى المناظرة ؟

فقال الآخر : على شرائط : ألا تغضب ، ولا تعجب ، ولا تشغب ، ولا تحكم ، ولا تقبل على غيرى وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك الا جوزت لى تأويل مثلها على مذهبى ، وعلى أن تؤثر التصادق ، وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلا منا يبنى مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته ·

ومن هذا ترى أنه كان لعلم البحث والمناظرة قواعد يجب أن تراعى وكان فى تلك البحوث والمناظرات مجال كبير للثقافة وابداء الآراء والأفكار. فالحلقات والمنتديات الأدبية والعلمية كانت بمثابة قاعات واسعة للمحاضرات والمناظرات والتدريس .

وفى القصور المصرية بدأت المنتديات الأدبية منذ ظهرت الدولة الطولونية ، وكانت الدروس تلقى فى قصور الأمراء والوزراء وفى بيوت العلماء .

وفى بلاط الأخشيد كانت الأبحاث التاريخية تلقى كل مساء . وقد تربى كافور الأخشيدى فى هذا البلاط وترقى حتى جعله الأخشيد معلما لولديه فلما تسلم كافور الاخشيدى الأمر قرب الشعراء منه . وأعطاهم الجوائز . وفى كل ليلة كانت السير واخبار الدولة الأموية والعباسية تقرأ عنده . وصار كافور حاميا للعلماء والأدباء وامتاز قصره بوجود المتنبى بين جماعته لينشد الكثير من شعره .

وكان الفاطميون يعقدون مجالس ومنتديات علمية من وقت لآخر وقوام هذه المجالس أساتذة بيت الحكمة الذين كانوا ينقسمون الى جماعات تبعا لتخصصهم ومواد دراستهم . فكان يجتمع هنا أساتذة المنطق والجدل وهناك الفقهاء والمحدثون وفى مكان ثالث علماء الرياضة ويشغل الأطباء مكانا رابعا وهكذا.. وكل واحد من هؤلاء يلبس رداء خاصا يشبه الرداء الجامعى الذى يلبسه الحاصلون على الدرجات العلمية والأدبية فى الوقت الحاضر .

وكان بين سلاطين الأيوبيين ووزرائهم سادة نجباء وأفذاذ من العلماء لهم قدم راسخة فى العلم والأدب من أمثال القاضى الفاضل الوزير الشهير الذى كان يجتمع فى مجلسه علية القوم .